* **المحاضرة الثامنة**
* **الاوضاع الاقتصادية**

ان الخط الأساسي في اقتصاد هذه المستعمرات هو الازدهار المتزايد وليس أدل على ذلك من التزايد السريع في السكان الذي شهدته هذه المستعمرات قبل الاستقلال. فبينما كان عدد السكان في سنة 1690 يبلغ مائتا الف اذا به يناهز المليونين في سنة 1770. ثم ان مما يميز هذا الاقتصاد هو انه كان يقوم, وحتى مطلع الاستقلال على دعامتين أساسيتين : الزراعة, والصيد, فالمدن قليلة, ففي سنة 1770 لم يكن هناك سوى خمس مدن يزيد تعداد سكانها عن ثمانية آلاف. ولم يكن سكان المدن اجمالا يمثلون اكثر من 3,8 % من مجموع السكان.

وكان تسعة اعشار السكان يمارسون زراعة الأرض. وكانت الزراعة موجهة منذ البداية نحو غاية اساسية هي سد حاجات الوطن الأم.

وكان على الامريكيين أن يعملوا على سد حاجات السوق الانكليزية من الفراء والجلود, والكتان فالتوجيه الأساسي للزراعة الاميركية كان يقضي بأن تكون المستعمرات منتجة للمواد الأولية التي تحتاجه السوق الانكليزية ومستهلكة لما ينتجه الوطن الأم.

وأهم الزراعات التي مارسها الاميركيون زمن الاستعمار في أواسط البلاد الذرة والموز كما انهم لاقوا نجاحا باهرا في تربية المواشي وانتاج الألبان. اما في شمال البلاد حيث كانت تكثر المزارع الصغيرة فالزراعة كانت تعمل على مد السكان بحاجياتهم الأساسية من الخضار والحبوب والصوف والكتان. وفي الجنوب حيث المساحات الواسعة واسعة جدا والمياه وفيرة فالزراعة الأكثر انتشارا كانت التبغ بقصد تصديره الى اسواق انكلترا.

هذا التوسع السريع في مجالات الزراعة كانت تعرقله صعوبة الحصول على اليد العاملة الرخيصة الاجور. لقد حاول المهاجرون الاوائل استغلال الهنود كعمال زراعيين نظرا لشدة تمسكهم بحريتهم ونمط حياتهم. أما المهاجرون الجدد من أوربا وهم كتيرون دائما فكانوا يرفضون في أغلب الأحيان العمل الأجور ويسعون للاستقرار والعمل لحسابهم الشخصي فهم هجروا بلادهم طلبا للحرية والثروة لا ليكونوا مأجورين ومستثمرين. وقد وجدوا الاميركيون حلا لهذا المشكلة كل على طرقته وحسب ما تقضيه طبيعة ارضهم وظروفهم. فسكان المناطق الغربية اعتمدوا على أنفسهم وعلى تعاونهم المتبادل وفي المناطق الساحلية كانوا يدفعون لبعض المهاجرين الجدد أجرة سفرهم مقابل عملهم مدة محددة.

اما في الجنوب فان تجارة الرقيق قد حلت لدرجة كبيرة مشكلة اليد العاملة الزراعية. اذ ان جميع المزارع الكبرى في الجنوب كانت تعتمد على عمال من الزنوج قام بنقلهم تجار الرقيق من شواطئ افريقيا الغربية. فبين سنتي 1750 و 1800 كان يصل البلاد الامريكية بين خمسين الفا الى ماية الف رقيق كان أكثرهم يرسلون الى المزارع الكبرى في الجنوب وقد عم الاعتماد في الزراعة على الرقيق بصورة خاصة مع انتشار زراعتي القطن والتبغ اللتان تحتاجان ليد عاملة غريزة ورخيصة الأجر.

وكانت القاعدة في معاملة هؤلاء هي القسوة الشديدة التي كثيرا ما تصل الى درجة الوحشية. وفي أكثر المستعمرات الجنوبية تجسدت هذه القسوة بصورة قوانين وانظمة تحول دون تطور هؤلاء وتطلعهم حول مساواتهم بباقي سكان المستعمرات من العنصر الأبيض.

* **الاوضاع الاجتماعية**

مع ان العنصر الساكسوني هو الغالب في مجتمع المستعمرات الاميركية الا ان كان هناك فئات اخرى انضمت اليه طائعة أو مختارة. فكان هناك سكان البلاد الاصليين (الهنود الحمر) وكانوا يسيطرون على المناطق الداخلية في البلاد. غير ان سيادتهم هذه كانت في تقلص مستمر منذ مطلع القرن الثامن عشر بسبب تزايد هجرة الرجل الأبيض من العالم القديم وتوسعه غرب المستعمرات القديمة على حساب هذه الثقة. كما ان دورهم في المجتمع الجديد كان صغيرا للغاية.

وكان هناك فئة الزنوج الذين دخلوا المجتمع الاميركي الجديد مكرهين. وكانوا يشكلون طبقة خاصة ضمن المجتمع الاميركي وكانوا متمركزين على الاغلب في الجنوب حيث مزارع التبغ والأرز الضخمة. وعدد قليل منهم كانوا يسكنون في مناطق البلاد الوسطى والشمالية ويتعاطون الأعمال الدنيا التي كان يرفضها الابيض. ولم تكن لهؤلاء أي حقوق قانونية كما لم يكن يعترف لهم بأي من الحقوق الطبيعية التي كان يتمتع بها الرجل الأبيض في المجتمع الاميركي. وكانوا بصورة عامة يعيشون حياة بائسة شقية. وقد حاولت بعض الولايات ان تحارب تجارة الرقيق الا ان السلطة الانكليزية قضت على هذه المحاولات حفاظا على مصالح تجار الرقيق الذين كان أكثرهم من الانكليز. وبالرغم مما يوجه من انتقادات لهذا النظام فانه صار مع الأيام الركيزة الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد المستعمرات الجنوبية.

وكان هناك طبقة أخرى لا تحظى بمقام محترم في هذا المجتمع الجديد, وهي فئة المشردين والمجرمين الذين كانت تبعدهم حكومة لندن أو أهلهم الى المستعمرات وكان هؤلاء يشكلون اجمالا فئة شغب واجرام في العالم الجديد. الا ان القوانين كانت قاسية تجاههم مما جعل خطرهم محدود للغاية. اما الفئة الصالحة من هؤلاء فان مجال العمل الثروة كان مفتوحا أمامها بسبب اليد العاملة.

كانت هناك طبقة البيض وهم السادة الحقيقيون للبلاد. ويتألف هؤلاء من فئة المهاجرين والاوربيين الين اخذوا يتوافدون على البلاد منذ مطلع القرن التاسع عشر. وكان هؤلاء يمتلكون الاراضي والمزارع ويسيطرون على التجار وصيد الاسماك. وبعبارة موجزة كانت منافع البلاد كلها تستغل لصالحهم.

ومن بينهم كانت في شمال البلاد فئة من رجال الدين والقانون امتازوا بالثروة وبشي من الثقافة تنفرد بالسيطرة على شؤون الحكم وعلى المجالس التمثيلية. وكان هؤلاء يشكلون الى حد ما درجة عليا في المجتمع الاميركي اما في الجنوب فهذه الطبقة الممتازة كانت تتألف بالدرجة الاولى من كبار ملاكي الارض. الان وجود هذه الفئات الممتازة لا يعني ان مجتمع المستعمرات هذه قد عرف نظام الطبقات بحدوده ونظمه كما كان يمارس في اوروبا. بل على العكس من ذلك فالمساواة كانت القاعدة والاساس وأي مواطن يشعر بالظلم والغبن كان يمكنه ان يترك بلده ويتجه نحو الحدود الغربية فيعمل مع الرواد الذين يتوسعون داخل البلاد. اذ ان هناك يتساوى الناس فعلا وتزول الفروقات وتصبح القاعدة الاساسية في الحياة والتعامل الشجاعة والاخلاص في العمل. كما تفتح امامهم ابواب الثروة والغنى.

فاللغة التي سادت البلاد كانت الانكليزية رغم وجود جاليات فرنسية والمانية واسكندنافية. الان ان سكان هذه المستعمرات لمواجهتهم ظروف واوضاع جديدة قد اضطروا مع الايام لصياغة كلمات جديدة تلبية لحاجات جديدة كما انهم اضطروا احياناً لاستعمال كلمات انكليزية للدلالة على اشياء ومعاني غير المتعارف عليها بين الانكليز الاصليين حتى انه تكونت مع الايام ما يمكن تسميته (( اللهجة الاميركية )) والتي كان الاميركيون يصرون على استعمالها رغم ما في ذلك من اساءة لمشاعر الانكليز.

وحتى في مجال المعتقد الديني فقد ظهرت عند الاميركيين اتجاهات جديدة بالنسبة لسكان الوطن الأم. فالمنشقون الذين هجروا بلادهم بحثاً عن الحرية وعن ارض يمارسون فيها عبادة الله كما يريدون هم لا كما تريد كنيسة لندن الاسقفية كانوا يعارضون اشد المعارضة في امتداد سلطة هذه الكنيسة الى العام الجديد.